الفصل الأول
حياته

obeikandl.com

الفصل الأول

حيـــاته

المولد والنشأة :

ولد يس الفيل في العاشر من نوفمبر عام ١٩٢٧ م في قرية دست الأشراف مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة . وعائلة الفيل واحدة من أكبر العائلات البحراوية تعداداً وأعراقها نسباً ، حيث تنتشر في عدة بلاد متجاورة بقري خريتا ودست الأشراف ، والطود ، وزاوية مبارك ، و زاوية خنيزي ، وتربطهم جميعاً صلة القرابه التي ينتسبون بها إلي جد واحد .

وقد تبوأت عائلة الفيل مكانه اجتماعية مرموقة بما قدمته من علماء في مجالات مختلفة وصل بعضهم إلي منصب القضاء ، وعمل كثير منهم في مجال التعليم والتدريس كما يوجد عدد كبير منهم في سلك الشرطة والقانون .

ونشرت أخبار البحيرة في عددها السادس والتسعين مقالاً بعنوان "أمجاد عائلة بحراوية" ، أبرزت فيه مكانة هذه العائلة ومنزلتها من الناحية التاريخية والإجتماعية ومما جاء فيه "والعائلة عربية أصيلة قطنت أرض الجزيرة العربية ونزحت منها أثناء الفتوحات الإسلامية واستقر جزء منها في السودان وجاء أكثرهم إلي مصر ، وأنجبت العائلة لفيفاً من رجال العلم والأدب والقانون والشرطة منهم علي سبيل المثال لا الحصر المرحوم علي صميدة الفيل وكيل مدرسة السعيدية الثانوية ، والشيخ عبد القادر الفيل الذي يعد من أشهر القضاة في مصر والمستشار عبد الرحمن الفيل أحد أعمدة القضاء في مصر ، والمستشار إبراهيم الفيل

رئيس محكمة استئناف جنوب القاهرة ، والدكتور توفيق الفيل الأستاذ بجامعة الكويت ، واللواء صلاح الفيل قائد حرس الحدود ". (١)

ولد شاعرنا لأسرة ريفية كثيرة العدد ، ونشأ كما كان ينشأ معظم أبناء الريف وقتئذ ، حيث توجه إلى كتاب القرية وحفظ قدراً من القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وشيئاً من الحساب ، ثم ألحقه أبوه بالمدرسة الابتدائية بقريته فكان يذهب إليها هو وأبناء عمومته الذين يسكنون معه فى بيت واحد وعن ذكرياته فى تلك المرحلة يقول : "أذكر ونحن فى الصف الثالث الابتدائى أنى فوجئت بمدرس الرياضيات يستدعنى إلى الصف الرابع ، ويطلب منى حل مسألة كتبها على السبورة أمام تلاميذ هذا الفصل ، ولم أتردد ، كانت المسألة صعبة حقاً ولكنى ما إن بدأت حتى تتابعت خطوات الحل ووصلت إلى المطلوب ، هذه الحادثة البسيطة العابرة فتحت عينيى على شىء فى لا أدريه ، لكنى الآن وبعد هذه المرحلة الطويلة أدرك أن تفوقى إن صح أنى تفوقت لم يأت من فراغ أبداً". (٢)

ثم حصل على الابتدائية عام ١٩٣٥م وكان يتوق إلى الإستمرار فى دراسته ومواصلة تعليمه فى المدرسة الإعدادية ، ولكن حالت ظروف دون ذلك وانقطع عن التعليم ليعمل فى زراعة الأرض حيث ورث أبواه الأرض التى توفر للأسرة حياة كريمة ، لكنهما بدداها بالإهمال تارة وبالبيع تارة أخرى ، ومن ثم فقد تعرض شاعرنا كما تعرض أبناء جيله فى القرى ذات المساحات المحدودة لشظف العيش وبؤس الفقر مما أثر على نفسيته بعد ذلك ، هذا إلى جانب أن الشاعر قد

---

١ - أخبار البحيرة ،عدد ٩٦ أكتوبر ١٩٩٦.
٢ - مجلة الفيصل السعودية ، عدد ٢١٢ ص ٦٧.

أدرك آثار الغنى فى البيت الكبير الذى عاش فيه مما أورثه حسرة وندماً على ما كان .

حياته العملية :

"عمل يس الفيل فى الأرض فلاحاً شأن أبناء الريف جميعاً ، ولكنه أصيب بمرض خطير جعل من معه يشفقون عليه ويتوقعون نهايته ، فإن سلم وعافاه الله فقد غدا لا يصلح للكدح فى أرض لا تعرف غير الكدح ، ولا تبذل خيرها وتمنح درها إلا لمن يبذل فى سخاء ويمنح فى ولاء ".(١)

من هنا أدرك أنه لم يعد يصلح للفلاحة لما فيها من جهد ومشقة . فسعى للحصول على فرصة عمل تتطلب جهداً أقل ، فلاحت له هذه الفرصة عندما أعلنت المدرسة الابتدائية فى قريتة عن الحاجة لشغل وظيفة عامل تغذية . فتقدم لها وكان هذا عام ١٩٤٨م وتم تعيينه واستمر فى هذه الوظيفة مدة ست سنوات .

وفى تلك الأثناء علم أن الابتدائية التى حصل عليها لا ينطبق عليها قانون الابتدائية الجديدة ، لأنه لم يدرس اللغة الإنجليزية ففكر فى الحصول مرة ثانية على الابتدائية بنظامها الجديد ، وحصل عليها عام ١٩٥٣م.

وعلى الرغم من تواضع الوظيفة التى التحق للعمل بها إلا أنه سعد بها حيث جنبته بذل الكثير من الجهد والمشقة فى العمل بالزراعة ، ولكن الأمور لا تسير دائماً حسبما يتمنى الإنسان ، فقد ألغى نظام التغذية بالمدارس وأصبح بلا عمل وهداد تفكيره إلى مغادرة القرية والانتقال إلى دمنهور علة يجد ضالته ، وكان له ما أراد فالتحق بوظيفة كاتب بمنطقة دمنهور التعليمية عام ١٩٥٤ م .

١- د.عبدالله سرور: الميلاد وحكايات الخريف دراسة فى شعر يس الفيل، الطبعة الثانية ١٩٩١ ص ١٣ ١٤.

"وتغيرت حياة الشاعر تغيراً طفيفاً . إذ لا يزال مقيماً فى قريته يقطع الطريق من "دست الأشراف إلى دمنهور" ، وناهيك به من طريق وعر المسالك موحش النواحى ، ولكن الشاعر وجد فى الساعات التى يقضيها فى المدينة غناء وعزاء وعثر على نفسه المعبرة وقلبه المتفتح ومشاعره المهتاجة". (١)

بين المدينة والقرية :

وكأى ريفى عندما ينتقل إلى المدينة لأول مرة استشعر بالغربة وانتابه شعوران : شعور بالسعادة ، وشعور بالحزن ، فيحكى عن أسباب سعادته وحزنه بهذا الانتقال قائلاً "سعدت بهذا الانتقال وحزنت فى آن واحد ، سعدت أنى سوف أرى العالم وأعيشه مدنية وعلماً وثقافة وتطوراً وحركة ، وحزنت أنى أترك مهد الحب وميادين الذكريات ودفء الأهل وحنو العشيرة ، ثم بعد ذلك من يدرى أأطفو على السطح ؟ أم تبتلعنى الأمواج كما ابتلعت من قبلى أناساً نلوك قصصهم ونتندر بما آبوا به من إحباط وخيبة ". (٢) ويبدو أن معظم الشعراء الذين انتقلوا من القرية إلى المدينة تصبح المدينة لديهم مخيبة للآمال مضيعة للأعمار.

فأبناء الريف عندما ينتهون إلى المدينة أية مدينة ، لم يستطيعوا فى بداية الأمر أن يتواءموا معها وعالمها المعقد ، فقيمة القرية تتمثل فى النقاء والصفاء والبكارة والبساطة والطيبة ، وكأن المدينة هى الوجه الآخر لهذه القيم . ولكن هذه الصورة فيها شىء من المبالغة كذلك لأن المدينة ليست شراً خالصاً كما أن القرية ليست خيراً خالصاً .

---

١ - السابق ، ص ١٤ .
٢ - مجلة الفيصل ، ص ٦٧.

أما بالنسبة لشاعرنا فقد كان الانتقال لديه بداية انعطافه حادة فى حياته حيث كان يمارس كتابة القصة فى القرية دون أن يشعر به أحد ، لكن ما أن استقر فى المدينة حتى أخذت الموهبة تتبلور وتتحدد معالمها ، وبدأ يطرح إبداعه النثرى فى منتديات مقهى المسيرى بعد عام ١٩٥٦م.

وفى قريته وقبل الانتقال إلى المدينة كتب القصة بنوعيها الطويلة والقصيرة يقول عن إبداع تلك الفترة من حياته "وقصتى الطويلة اليتيمة التى كانت حصاد تلك المرحلة والتى تقع فى أكثر من مائة صفحة ، لا تزال حبيسة الأدراج مع العشرات من القصص القصار" .(١)

وبعد أن استقر به المقام فى دمنهور فكر فى إتمام تعليمه ، ورغب فى الحصول على مؤهل عال ، ولم لا وقد تهيأت له الظروف ، وكانت أعلى الشهادات التى حصل عليها من قبل هى الابتدائية ، ولا شك فى أنه كان يطمح إلى أكثر من هذا ، فحصل على الإعدادية نظام السنوات الأربع ، وتقدم لإمتحان الثانوية العامة ولكنه لم يؤد امتحانها ، ثم استطاع فى عام ١٩٥٦م أن يحصل على شهادة صلاحية التدريس حيث يستطيع الحاصل على هذه الشهادة أن يعمل مدرساً ، غير أنه رفض العمل بالتدريس عندما وجد أنه سينتقل إلى خارج دمنهور ، ففضل البقاء كاتباً بالمنطقة التعليمية ، وقد بات من الصعب عليه العودة إلى القرية بعدما أدرك مميزات المدينة ، حيث الكتب والمكتبات والاحتكاك بالأدباء وهذا ما افتقده فى القرية .

---

١ - السابق ، ص ٦٧، ٦٨ .

وظل يعمل موظفاً بديوان التربية والتعليم حتى وصل إلى درجة وكيل قسم بالعلاقات العامة حتى أحيل للتقاعد وهو على هذه الدرجة عام ١٩٨٨م.

ولا شك فى أن الوظائف التى تنقل بينها يس الفيل لا تتجاوز مرتبة صغار الموظفين برواتبها القليلة والتى كانت لقلتها أثر فى بقية حياته .

مصادر ثقافته:

لم يتلق يس الفيل تعليماً دراسياً منتظماً ، ولم يستطيع أن يحصل على أعلى المؤهلات كما كان يرغب ويتمنى ؛ ولذلك بدت ثقافته فى بادئ الأمر محدودة ولكنه استطاع بجهده الذاتى وعشقه للغة والأدب أن يقرأ ويتعلم ويوسع من معارفه من طرق شتى غير التعليم ، ووجد فى نفسه ميلاً إلى القراءة ، فنمى هذه المقدرة بالاطلاع على كتب الأدب ودواوين الشعر فى القديم والحديث فأقبل عليها بنهم ينهل منها .

وكان أول ما تأثر به وهو صغير قصص " ألف ليلة وليلة " ، فأخذ ينقل ما بها من أشعار فى كراسات ويحفظها ، وكان هذا استجابة لهاجس الأدب الخفى فى نفسه وبداية إرهاصات الموهبة التى لم تكن مدركة بعد .

واستطاع هو ورفاق الصبا أن يتغلبوا على قلة ما بين أيديهم من كتب فعندما كان الواحد منهم يحصل على كتاب فى الأدب أو ديوان فى الشعر أو قصة أو رواية فسرعان ما يذهبون إلى الحقل ، يتحلقون تحت ظل شجرة توت يقرأون ويتجادلون ، وكثيراً ما كانت تجمعهم شطآن الترع وظلال النخيل مما يعتبر فى الريف بمثابة الأندية العامة فى المدينة ، وكانت بعض هذه الجلسات يقابل فيها الشاعر بالرفض والتثبيط والإدانة ، يتذكر بمرارة ما كان يدور فى اجتماعاتهم هذه

يقول : "اذكر ونحن نجتمع ذات ليلة فى بيت من بيوتنا أن راح الكل يجادلون فى عنوان قصيدتى "براعم المحال "التى أقرؤها عليهم . وأخرج من الجدل بقلب ينزف دما . فقد انقضت الليلة رفضا وإدانة وتثبيطا . غير أن المفاجأة فى الصباح قد أعادت ترتيب الأشياء فى داخلى . حين وجدت القصيدة منشورة بالعنوان نفسه فى مجلة الشعر التى كان يرأس تحريرها الدكتور عبدالقادر القط ". (١)

وعندما أتيحت له فرصة العمل فى المدينة عرفته مكتبات دمنهور مرتاداً لها ينهل من معارفها ويتزود من ذخائرها المتنوعة . واستطاع بجهده الذاتى أن يوسع من آفاق معرفته وأن يبنى كيانه الثقافى والفكرى بالصبر والمثابرة .

ومما عاونه على التزود من ينابيع الثقافة المتنوعة عمله فى مكتبة النادى الاجتماعى بدمنهور . وقد أتيحت له الفرصة عندما أعلنت محافظة البحيرة عن مسابقة لتأليف نشيد للمحافظة . فتقدم لهذه المسابقة . وبعد فرز الأعمال المقدمة بمعرفه لجنة من أساتذة جامعة الأسكندرية . فاز نشيد شاعرنا بالمركز الأول فيستدعيه محافظ البحيرة فى ذلك الوقت السيد وجيه أباظة . وعلى أثر هذا اللقاء عينه أميناً لمكتبة النادى الاجتماعى بمكافأة . ويحقق له هذا التعيين فرصة أوسع للإطلاع على الكتب الموجودة بمكتبة النادى . إضافة إلى زيادة الدخل التى تهيىء له الراحة النفسية . واستطاع من خلال هذا العمل أن يوسع من دائرة معارفه عن طريق رواد النادى عامة ورواد المكتبة بصفة خاصة .

وكان يس الفيل برغم قيود العمل الوظيفى مطلعاً كثير الاطلاع . ومما ساعده على ذلك صبره ومثابرته على التحصيل والمعرفة . رغبة منه فى تعويض ما فاته

١- السابق . ص ٦٩.

من تعليم منتظم . فوضع لنفسه نظاماً صارماً يسير عليه ولا يحيد عنه . فكان يستعير الكتب من المكتبات العامة كمكتبة البلدية . وعند رجوعه من عمله عائداً إلى مسكنه المتواضع يحمل كتاباً يقرأه فى الليل ثم يعيده عندما ينتهى من قراءته ويستبدله بكتاب آخر . من هنا كان على المكتبة العامة وحدها أن تروى ظمأه المعرفى . وإنا ما سولت له نفسه أن يشترى كتاباً فإن ذلك سيكون على حساب وجبة غذائية لأن الميزانية لم تكن تسمح بشراء الإثنين معاً.

ومن الأشياء التى تعد مهمة فى تكوينه الثقافى كثرة حضوره للندوات الأدبية واللقاءات الفكرية التى كانت تنعقد على مقهى المسيرى بدمنهور . وكانت تضم صفوة المثقفين من أعلام الشعر والأدب . فتأثر بهم وبدا يجاريهم فى قراءاتهم الواسعة والمتنوعة لأنه أدرك أن الموهبة وحدها لا تكون شاعراً . فمضى يقرأ كتب التراث ويطلع على دواوين الشعراء كما تأثر بكل جديد . فقرأ لشعراء أبولو والمهجر وجاراهم فى تجديد موسيقى الشعر.

ومن المعلوم أنه " كلما اتسع النطاق اتسع التعبير وتنوعت الثمرات ؛ لأن الإنسان لا يعرف الحياة الإنسانية بالوقوف على حقيقة أبناء زمانه الذين يشبهونه ويتلقون معه الشعور من مصدر واحد فحسب . ولكنه يعرف الحياة الإنسانية حق عرفانها إنا عرف الصله التى بين العصور المختلفة والأقطار المتباعدة . وعرف الواشجة التى تجمع بينها على تعدد المصادر وتفاوت المؤثرات "(١)

---

١ - د عبدالحى أدهم : شاعرية العقاد فى ميزان النقد الحديث ، دار النهضة العربية ١٩٦٤ ، ص

مقهى المسيرى :

كانت مقهى المسيرى ملتقى لأدباء دمنهور والمكان المفضل لإجتماعتهم يلتقون فى المساء حول صاحبها الأستاذ عبدالمعطى المسيرى الذى كان يهوى الأدب والكتابة ، وقد عرف شاعرنا طريقة إلى المقهى عن طريق الدعوة التى وجهها له الأستاذ المسيرى عندما التقيا فى إحدى الندوات التى أقيمت فى إحدى مدارس دمنهور الإعدادية ، وكان يس الفيل يحمل معه عدة نسخ من مجموعته القصصية الأولى " أنا القاتل " ، فأهدى الأستاذ المسيرى نسخة منها وما كان منه إلا أن لفت نظر شاعرنا إلى التجمع الأدبى الذى يعقد فى المقهى ، وطلب منه حضور لقاءاتهم ومن هنا بدأت معرفته بأدباء دمنهور وأصبح رائداً من رواد المقهى .

وقد نشر الأستاذ خيرى شلبى مقالاً فى مجلة الإذاعة والتلفزيون بعنوان: "إحياء مقهى المسيرى بدمنهور" مبيناً الدور الأدبى والسياسى الذى قامت به فى الخمسينيات على غرار مقاهى القاهرة يقول:" نشرت الصحف مؤخراً خبراً يقول إن مجلس مدينة دمنهور قرر الإهتمام بمقهى المسيرى وإحياء دورها الأدبى من جديد ولما كنت من الذين نالوا شرف النشأة الأولى فى مقهى المسيرى أيام كنت طالباً بها أوائل الخمسينيات ، فإنه يطيب لى أن أعطى قارئى العزيز نبذة سريعة عن هذه المقهى وصاحبها وما فعلته بنا فى مرحلة الصبا والشباب. المقهى كبير جداً فى شارع تجارى كبير فى دمنهور (شارع ٢٣ يوليو) تشبه إلى حد كبير مقاهى وسط البلد فى القاهرة مثل قهوة المالية أو قهوة روكسى أو سفنكس ...

إذا دخلت المقهى من أى باب من أبوابها تجد الأستاذ فى مواجهتك خلف منصة صغيرة أنيقة ، عليها رخامة وحصالة معدنية مثقوبة الغطاء فوق رأسه على

الحائط خزانة للكتب بباب زجاجي تظهر منه كعوب الكتب المجلدة الثمينة معظمها قواميس ومعاجم ونوادر من أمهات التراث العربي ....." .(١)

وعن دور الأستاذ المسيري ومقهاه في إحتضان مجموعة الأدباء الذين كانوا يجتمعون بإستمرار في هذه المقهى ، وكان لبعضهم نصيب كبير في إثراء الحركة الأدبية في مصر بوجه عام. يقول خيري شلبي : "الأستاذ المسيري يهوى الأدب والكتابة منذ وقت مبكر جداً منذ كان عاملاً صغيراً في هذه المقهى ، وقد التف حوله مجموعة من هواة الأدب صاروا يجتمعون بإستمرار في هذه المقهى ، يتناقشون في المسائل الأدبية والقضايا السياسية ، يقرأون على بعضهم كتاباتهم في القصة والشعر والخواطر والمقالة الأدبية والتحليلات السياسية. هذه المجموعة كانت نواة لجمعية أدباء دمنهور التي كبرت وبات لها صيت مدو في جميع الأوساط الثقافية في مصر ، ربما لأنها نشأت في عصر لم يكن قد عرف بعد قيام جمعيات أدبية في مدن الأقاليم ، كانت في الواقع جمعية متميزة تضم نخبة من الأدباء الموهوبين حقاً .....وفي ظله استطاعت جمعية أدباء دمنهور أن تلفت الأنظار بشبابها الجدد وأن تقيم الندوات والأمسيات في القاهرة ، كذلك كان معظم أدباء القاهرة الكبار يقومون بزيارات للمقهى فتقام لهم الندوات والأمسيات ، والجدير بالذكر أن توفيق الحكيم حين كان وكيلاً للنائب العام في محافظة البحيرة كان يختار هذه المقهى ليكتب أو يقرأ " .(٢)

---

١ - يراجع مقال "إحياء مقهى المسيري بدمنهور " لخيري شلبي مجلة الإذاعة والتليفزيون : العدد ٢٩٠٢ أكتوبر ١٩٩٠ ص ٤٦.

٢ - السابق ، ص ٤٦.

ويكتب عونى الحوفى أحد رواد المقهى وأحد أدبائها عن فضل المسيرى ومقهاه فى تخريج أجيال متتابعة من الأدباء ، رحل منهم من رحل وما زال الأحياء منهم يثرون الحركة الأدبية بالأعمال الإبداعية والدراسات النقدية يقول:" جعل عبدالمعطى المسيرى من مقهاه مدرسة للأدب تخرج فيها محمد عبدالحليم عبدالله وأمين يوسف غراب ، وإسماعيل الحبروك ، ومحمد صدقى ، وعبدالقادر حميدة ومحمود علوان ، وغيرهم . ثم جاء بعدهم جيل رجب البنا ، وعبد الوهاب قتايه ويس الفيل، وسعد دعبيس ، وعونى الحوفى ، وحامد الأطمس ، وعبد المنعم عواد وحسن قاسم ، وغيرهم . ومن الفنانين المصور فرام ، والمصور الكبير أنطون والتشكيلى فتحى دعميش ، كان من الطبيعى أن تؤثر هذه الكوكبة فى المجتمع البحراوى حيث لم يكن يمضى أسبوع إلا ويحفل بندوة فى كنيسة مارى جرجس أو فى نادى البلدية ، أو فى المقهى نفسه ، أوأمسية شعرية أو إستضافة لأديب كبير كمحمود تيمور ،أو يحى حقى ، أو عبدالرحمن الشرقاوى، أو زكريا الحجاوى بإختصار قام عبدالمعطى المسيرى وحده بمهام وزارة الثقافة فى محافظته. لقد ترك أثراً لم ولن تحققه أى وزارة للثقافة". (١)

مع الأدباء :

اتصل شاعرنا بطائفة كبيرة من الأدباء على مر الأجيال وقد مدته صداقته لهم بتجارب كثيرة ، "فكانت له علاقات طيبة بكثير من الأدباء والشعراء من مختلف الأجيال التى عاصرها طوال عمره ، فقد حضر ندوات العقاد وحضر الجيل الأوسط ثم جيل الستينات وما بعده من السبعينيين والثمانيين إذا جازت التسمية

---

١ - جريدة الأهرام ، القاهرة فى ١٣- ١٢- ١٩٩٨م.

بالأجيال " . [1] فتوطدت علاقته بالأدباء والشعراء عن طريق الندوات الأدبية والمهرجانات الشعرية التى كان يشارك فيها والتى كانت تقام فى جميع ربوع مصر . ولم يحدث أن تخلف عن ندوة دعى إليها يقول فى ذلك: "لم أترك مؤتمراً أدبيا أو مهرجانا شعريا إلا وشاركت فيه ، من أسوان جنوبا حتى مرسى مطروح شمالا ، ومروا بوسط الدلتا وانتهاء بكل محافظات مصر. صداقتى بالشعراء فى كل مدينة وقرية تشكل رصيدا يملؤنى ثقة واعتزازا وحبا ، ويدفعنى إلى المزيد من التجويد والتألق لأظل عند حسن الظن بى دائما " . [2]

ومن الشعراء الذين توطدت علاقتة بهم طاهر أبوفاشا ، وفتحى سعيد وعبدالعليم القبانى وسعد دعبيس ، وعبده بدوى ، وجميل عبد الرحمن ، ومحسن الخياط ، ومحجوب موسى ، وفاروق جويدة ، وأحمد مبارك الذى كتب أكثر من مقالة يدعو فيها إلى ضرورة الالتفات لطبع أعمال يس الفيل ودراسة شعره .

كما تربطه بالأديب جمال الغيطانى ، ويوسف القعيد صداقة قوية وكان للقعيد الفضل فى توجيهه لنشر شعره فى الصحف والمجلات العربية .

وقد التقى فى الصالون الأدبى الذى كان فى بيت الشاعر عبدالله شرف بالشاعر الدكتور صابر عبدالديم ، والدكتور أحمد زلط ، والدكتور حسين على محمد والدكتور حلمى القاعود وغيرهم كثير ، حيث كانت تقام ندوة أدبية فى نهاية كل أسبوع يجتمع فيها عشاق الأدب ومحبو عبدالله شرف ، وكان الاجتماع السنوى

١- يراجع مقال "قراءة فى ديوان الميلاد وحكايات الخريف " للدكتور حلمى القاعود ، مجلة الشرق السعودية ، العدد ٥٦٨ ديسمبر ١٩٩٠ ص ٢٩ .

٢- الفيصل ، ص ٧٠ .

في الجمعة الأولى عقب عيدى الفطر والأضحى ، يلتقى فيه هذا الحشد الكبير الذى كان يجتمع على مدار العام فكانت فرصة طيبة للتقارب والتعارف .

فى الميدان الصحفى :

بدأ اتصال يس الفيل بالعمل الصحفى عام ١٩٥٦م منذ أن وطئت قدمه أرض دمنهور حيث التقى على مقهى المسيرى بمحمد فريد الذى كان يصدر صحيفه الشعب الحر ، وهى صحيفة إقليمية شارك فيها بكتابة المقال وأشرف على باب مواهب جديدة ، فكان يتولى الرد على رسائل أصحاب المواهب الشابة يقومها وينشر الرد عليها فى العدد التالى ، ولم ينقطع عن كتابة المقال والإشراف على هذا الباب إلا عندما توقفت الصحيفة عن الصدور بسبب سفر صاحبها إلى ليبيا .

عمل شاعرنا فى إذاعة الأسكندرية لمدة عام من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٠ ، وكان يقدم برنامج أدب الشاطىء يستعرض فيه صحيفة دمنهور الأدبية .

وفى عام ١٩٦١ وجه الأديب محمد عبدالحليم عبدالله دعوة إلى أدباء دمنهور بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسين لنجيب محفوظ ، وحضر يس الفيل مع الوفد الذى مثل أدباء دمنهور ، وعندما جاء دوره لإلقاء قصيدته ، توجه إلى المنصة وألقى القصيدة وعاد إلى مكانه ، فاتفق أن كان مجلسه بجوار الأستاذ أنطون مطر رئيس تحرير صحيفة "وطنى" فعرض عليه أن ينشر فى صحيفته ، وبدأت المراسلة منذ ذلك الحين ونشر فيها أكثر من عشرين قصيدة ، ولأنهم كانوا لا يكافئون مادياً كما يقول فقد هجر النشر فيها .[1]

١- أخبرنى بذلك الشاعر اثناء مقابلة معه

وكان أول عمل شعرى ظهر له ولفت الأنظار إليه قصيدة "ذكريات من القرية" عام ١٩٦٠م ، وقد نشرها فى مجلة الشهر التى كان يرأس تحريرها سعد الدين وهبة ، عندما أعلن استعداده لنشر القصائد العمودية فى مجلته فسارع بإرسال قصيدته فوجدت طريقها للنشر بعد جدل طويل .

ثم بعد ذلك استطاع بموهبته أن يفرض أدبه على معظم الصحف والمجلات التى تصدر فى مصر والعالم العربى ، فنشر شعره فى الأخبار ، والأهرام والجمهورية ، والشعب ، والمساء والوفد هذا بخلاف الصحف الأسبوعية والشهرية مثل : السفير، والشعب الحر، ووطنى ، والأيام ،ومن المجلات المصرية مجلة العالم العربى ، والشهر ، والأدب ، والثقافة ، والشعر ، والكاتب، وبناء الوطن ، والإذاعة المصرية ، وأمواج ، وغيرها .

وقد عرفت قصائده طريقها إلى الصحف والمجلات العربية ، ولبداية نشره فيها قصة ، فعندما كان فى زيارة لدار الهلال بالقاهرة التقى بالأديب يوسف القعيد الذى أرشده إلى زميل له ينشر فى مجلة "المجله العربية" ، وحثه على مقابلته للتعرف على كيفية النشر فذهب إلى هذا الزميل ولكنه لم يجده فبحث عن المجلة واشترى عدداً منها وبدأ فى مراسلتها ، وكانت المفاجأة عندما وجد قصيدته قد نشرت بعد شهر من إرسالها ، وكانت بداية معها ابتداء من العدد ٦٠ ، وحتى الآن مازال يمدها بالعديد من قصائده فتنشر له تباعا ، فحققت له بذلك الانتشار على مستوى الوطن العربى فضلا عن أنها تعطى مقابلاً مادياً مجزياً .

وبدأت دائرة اتصاله بالصحف والمجلات العربية تتسع ، فنشر أشعاره فى صحف (المسلمون – الشرق الأوسط – الاتحاد – الندوة) والمجلات مثل : (المحلة

العربية – والحرس الوطني – والقافلة – والخفقى – والمنهل – والفيصل) وتصدر هذه الصحف والمجلات فى المملكة العربية السعودية .

كما نشر فى صحيفة الأسبوع الأدبى وتصدر فى سوريا ، ومنار الإسلام وتصدر فى أبو ظبى ، ومجلة البيان والعربى وتصدران فى الكويت ، وغيرها كثير على مستوى الوطن العربى .

وتلقى قصائد يس الفيل التى يراسل بها الصحف والمجلات العربية حفاوة وتقديرا بالغين من رؤساء التحرير ومن القراء على السواء ، وقد بلغ ما نشره الشاعر على مدى الخمس عشرة سنة الماضية ما يزيد على مائة قصيدة ، وقد أثارت هذه الكثرة للقصائد المنشورة القارئة العربية من الطائف بالسعودية ع.ع ، عندما أرسلت للمجلة العربية تقول إنها بحثت عن ديوان شعر لـ يس الفيل فلم تجد ووجدته مجهولاً فى مصر وتسأل من يس الفيل ؟ وما هى نشاطاته ؟ وأين يكون ؟ فأرسلت المجلة إليه رسالة هذه القارئة وكان رده عليها هذه القصيدة :[1]

حنانيك يا من أثرت الجـــراح ... بقلب توالت عليــه النصـــال
دواوين شعرى أبت أن تكــون ... أبت فى زمـــان ردئ الخصـــال
حنانيك أعطيك هذا الحصـــاد ... وما قيل فى حســنه أو يقـــال
لقاه احتفاظى بصـــدق العطـــاء ... بعيداً عـــن الزيف والابتـذال
فهل تقبل الصـــفقة المشـــتهاه ؟ ... وإن قلت :لا ... إن هذا محـــال
فخل الآلئ بقلب المحـــــال ... ليوم يقدر معنى الجمـــــال

---

١ - قصائد جريحة ، ص ٣٤.

ولم يقف إبداع الشاعر عند كتابة الشعر، فهو يكتب الدراسات الأدبية والمقالات والأبحاث نشر له معظمها وما زال بعضها مخطوطاً.

ومن الدراسات المنشورة :

١- الوحدة منطلق أصيل فى عطاء الشاعر، دراسة حول شعر الشاعر السورى مصطفى النجار نشرت فى صحيفة الأسبوع الأدبى السورية عدد ٣٧٩ لسنة ١٩٩٣م.

٢- دراسة لديوان الشاعر السورى جاك صبرى شماس.

وله كثير من الدراسات التى نشرت فى مجلة الشعر المصرية كما أن له بحثاً بعنوان (سلاح الكلمة الشاعرة فى مواجهة طاغوت العراق) .فاز بالمركز الخامس مع إهداء الكاتب نسخة من الكتاب الذى ضم الأبحاث الفائزة فى المسابقة التى أعلن عنها نادى المدينة المنورة بالسعودية إثر اعتداء العراق على الكويت.

بواكير الإبداع :

بدأ الشاعر حياته فى مجال الإبداع بكتابة القصة، وكانت الكتابة فى مرحلة البداية تقليداً لكبار الأدباء من أمثال محمد عبدالحليم عبدالله ، وأمين يوسف غراب، وعبدالحميد جودة السحار وغيرهم.

"وقد سجل يس الفيل مشاهد من عالم القرية وكتب عن غرائب المدينة وما فيها من أحداث فى خواطر قصصية، وهى أول ما صدر له وعنوانها (أنا القاتل) عام ١٩٥٦م، وتجسد المجموعة انفعالات يس الفيل التى لم تفقد طزاجتها بعد ومشاعره التى لم تتلون ولم تزايل ما نشأ عليه من قيم وأعراف.

ولقد هاله ذلك الزلزال الذى تعرضت له مدينة دمنهور عام ١٩٥٥م وذلك أمر جلل بالنسبة للقروى الذى ينتظم حياته الإستقرار لا الزلزال ، فوصف ما شاهده من هلع وفزع فى قصته "حب وزلزال". والطريف أن يس الفيل وضع صورته على صدر مجموعته القصصية وكتب يخاطب تلك الصورة فى نداء وإهداء فى تسعة أبيات منها :

يا صورة ذهب الهوى بجمالها ... ففدت تحاكى الشيخ شاب صغيرا
أهديك للقراء ثم أحبتى ... كيما أنام مع الأنام قريرا [1]

وعندما حدث الإعتداء الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م انفعل الشاعر بتلك الأحداث وتطوع فى كتائب الحرس الوطنى ، وبعد أن تم وقف إطلاق النار ورجع التلاميذ إلى مدارسهم كتب مسرحية من فصل واحد بعنوان "الميناء" ، وهى مزيج من الشعر والنثر وقد مثلت على مسرح مدرسة دمنهور الثانوية ، قام يس الفيل بتمثيل دور البطولة فيها بعد أن عجز هو ومخرجها عن العثور على من يمثل دور البطل .

ومن إبداعاته القصصية الأخرى قصة قصيرة بعنوان "مدرسة الحياة" وهى مقررة فى كتاب المطالعة الذى يدرس لطلبة الصف الثانى الثانوى بالمملكة العربية السعودية ، ونشرت هذه القصة فى مجلة قافلة الزيت السعودية بتاريخ ٥ فبراير ١٩٧٤م ، ثم اتجه بعد ذلك إلى كتابة الشعر ولم تصدر له إبداعات قصصية أخرى .

---

١ - د. عبدالله سرور : المولد وحكايات الخريف ص ١٤ ١٥ .

تحول :

لم يدر بخلد يس الفيل أنه سيكون فى يوم من الأيام شاعراً ، فقد بدأ قصاصاً وكان يعرض ما كتبه على الأدباء الكبار ممن كانوا يرتادون مقهى المسيرى ، فقوبل بالإحباط والتشكيك أول الأمر ولكنه قابل ذلك بالإصرار والتحدى .

والذى حول مساره الإبداعى من كتابة القصة إلى كتابة الشعر الشاعر عبدالمنعم عواد يوسف الذى كان يعمل فى تلك الأثناء مدرساً للغة العربية فى دمنهور، فعرض عليه شاعرنا بعض كتاباته وكانت أشبه بالشعر ويكتشف فيه الشاعرية وينبهه إلى موهبته التى لم تكن مدركة ، ويغادر دمنهور عائداً إلى بلده ويوصيه بألا يعود إلى كتابة القصة ، وأن يهتم بالشعر ، وفعل شاعرنا ما أوصاه به عبدالمنعم عواد وهو يومئذ قد دنا من الثلاثين من عمره .

"ولعل أول ندوة يشارك فيها يس الفيل باعتباره شاعراً هى ندوة عيد الوحدة عام١٩٥٨ومرت فترة صمت كان الشاعر يحاول وينظم ويجرب ويقرأ ، واستغرقت هذه المدة من عام ٥٨ حتى ١٩٦٢م.

وفى عام ١٩٦٢م تقدم يس الفيل للمسابقة التى أعلنت عنها (هيئة الفنون والآداب) بالأسكندرية وفاز بالجائزة الأولى ، وظل يحتكر تلك الجائزة ثلاث سنوات فبدأ اسمه يلمع ، ونجمه يتألق". (١)

معاناته :

انتابت يس الفيل كثير من الشدائد والمحن ، حيث لم يرث عن أبيه مالا يكفل له العيش الهنىء والمستقبل الباسم ، فذاق طعم البؤس وتجرع مرارة الحرمان ووجد

---

١ - د.عبدالله سرور : الميلاد وحكايات الخريف ، ص ١٦.

نفسه وهو فى عنفوان شبابه _ أى فى حوالى الثلاثين من عمره_ مسئولاً عن أمه وأخته ، بعد أن سافر أخواه الأكبر والأصغر إلى الأسكندرية ، واستقرا بها تاركين له مسئولية إعالتهن ورعاية أمورهن ، فتحمل أعباء هذه المسئولية مما حتم عليه أن يؤخر سن زواجه إلى ما بعد التاسعة والثلاثين فى بيئة تعرف الزواج فى سن مبكر وعندما أراد أن يتزوج عرض على أمه أن تنتقل معه إلى دمنهور ولكنها قابلت طلبه بالرفض ، وفضلت البقاء فى القرية ووجد نفسه فى حيرة بين أن يترك أمه ويذهب إلى دمنهور ليتزوج ويكون بجوار عمله أو أن يعيش بجوار أمه مضحياً براحته وسعادته، واختار الثانية على الأولى وظل وفياً لها إلى أن لقيت ربها وهى راضية عنه ، وبعد أن خلا البيت من الأب والأم والأخت وجد نفسه وحيداً وقطار العمر يمضى سريعاً ، فكان لابد من البحث عن شريكة لحياته ولم تمض بضعة أشهر إلا وهى معه ، ومع ذلك قوبل زواجه باستياء وسخط شديدين من جانب الأخوة لأنه سارع بالزواج بعد وفاة أمه مباشرة .

وتمكن من الحصول على شقة صغيرة متواضعة بدمنهور ونقل معه زوجته حتى يوفر على نفسه عناء السفر ذهاباً وإياباً ، لكن لم تدم مدة إقامة الزوجة فأعادها مرة ثانية إلى القرية ، وبرجوعها ازدادت معاناته حيث أصبح لزاماً عليه أن يلائم بين عمله وإقامته بمفرده فى دمنهور وبين أسرته فى القرية، فكان يقضى الأسبوع بكامله فى عمله ثم يرجع إلى أسرته ليقضى معهم يوم الجمعة . واستمرت هذه المعاناة ما يزيد على عشرين عاماً زادت خلالها أعباء الأسرة وتبعاتها التى تتكون من أربعة أبناء فى مختلف مراحل التعليم ، وكلما تقدم الأبناء فى مراحل تعليمهم كلما كثرت مطالبهم المادية ، فحاول قدر استطاعته تحقيق رغباتهم

واستطاع بمساندة زوجته الوفية أن يحافظ على كيان بيته وأسرته من الضياع والتشرد. فغالبا ما ينحرف الأبناء ويتعرضون للفشل فى دراستهم عند غياب الأب، ولكن العكس هنا قد حدث بفضل المزيد من الجهد فى الرعاية حتى تخرج الأبناء الأربعة من الجامعة .

والشاعر يريد أن يخلص لفنه ويوفر وقته للعمل الجاد المنتج فهو يبحث عن الأمن والهدوء ويريد أن يعيش فى عالم مثالى بعيدًا عن أرض الواقع الأليم ، ولكن أنى له ذلك ومطالب الأسرة تلاحقه وتطارده فهل سيطعمهم الشعر ويسقيهم الخيال ؟

وفى قصيدة "مع الأوهام" يدور حوار بينه وبين زوجته تسأله عن سر تمسكه بالشعر مع أنه لم يحقق له مكسبا مادياً أو جاهاً اجتماعياً ، فيجيبها بأنه يغنى لأنه يحب الحياة ويعشق مظاهر الطبيعة الجميلة التى منحها الله للكون ، ولكنها لا تعير كل هذا أدنى اهتمام ولا يعنيها ما يتغنى به أو يغرد له فيقول فى أسى وحسرة :(١)

وترنو وفى مقلتيها دموع ... تمسحها مسحة من ندم

وتسأل: هذا الغناء بماذا ... علينا يعود ؟ أيطعم فم ؟

أيمنحنا وجبة من غذاء ... أفى السوق سوق لهذا اللمم؟

كثيرا تغنى ..وما بعت شيئا ... بكم بعت بالله قل لى بكم ؟

تسائلنى زوجتى كل يوم ... وما لى جواب ...كأن بى صمم

---

١ - أنغام لم تعزف أبدا ، ص ٣٤.

ثم تأتى بعد ذلك معاناته فى نشر أعماله . ففى عام ١٩٦٨ تقدم إلى مؤسسة النشر بالقاهرة بديوانه الأول " الميلاد وحكايات الخريف " وأجيز الديوان للطبع وأبرم عقد بذلك بين الشاعر والمؤسسة على أن ينشر الديوان فى وقت لاحق وانتظر فترة طويلة ولكن طال انتظاره ولم ينشر الديوان ، وكان هذا سبباً فى عدم تقدمه بدواوين أخرى إلى جهات النشر ، لأنه كما يقول : "رأيت الهوان فى الجرى من مكتب إلى مكتب " (١) وظل مكتفيا بما ينشر له من قصائد فى الصحف والمجلات المصرية والعربية ، ولم ينشر له كتاب خاص يضم مجموعة شعرية له إلا فى عام ١٩٨٩ م ضمن سلسلة إشراقات أدبية المخصصة لإبداعات الشباب بعد أن تجاوز الشاعر الستين من عمره .

وتعرض يس الفيل كما يقول لأكثر من عملية سطو على إبداعه ، سواء فى مجال الأغنية أو الشعر فقد حدث على حد قوله أن طلب السيد وجيه أباظة من فرقة البحيرة للفنون الشعبية استدعاء " يس الفيل" لمقر الفرقة ، وفى أثناء اللقاء طلب منه أن يكتب أغنية للفرقة ، فكتب أغنية فلكورية ، وغنتها فرقة البحيرة للفنون الشعبية ، وما إن سمع بها بعض أهل الغناء فى القاهرة حتى استولوا عليها ، وادعوا أنها من تأليفهم ، فسارع الشاعر لمحاولة إثبات حقه فى الأغنية وأقام ضدهم دعوى قضائية بعد جدل عنيف على صفحات الصحف ، ثم تدخل الوسطاء لمحاولة فض النزاع بتحديد لقاء بينهم لتسوية الخلاف ، ويفشل اللقاء ولكن الشاعر استطاع أن يثبت ملكيته بجمعية المؤلفين والملحنين التى أنضم إلى عضويتها ، ومن ثم فهو يتقاضى وإلى الآن حق الأداء العلنى عن الأغنية .

١- اخبرنى بذلك أثناء مقابلة معه .

وعندما أعلنت الثقافة الجماهيرية عن مسابقة فى الشعر، يتقدم " يس الفيل" بإحدى قصائده ، ويفوز بالمركز الأول على مستوى الجمهورية ، ويفوز بالمركز الثانى شاعر من الشرقية ، ويكتشف شاعرنا أن القصيدة الفائزة بالمركز الثانى ما هى إلا قصيدته التى سبق له نشرها بإحدى المجلات ، ويرفع ضده دعوى قضائية فى محكمة دمنهور وتستدعى المحكمة الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ليكون حكماً فى هذه القضية ، ويكتب تقريراً يثبت فيه أن القصيدة الفائزة بالمركز الأول والثانى قصيدة "يس الفيل" ، وبهذا يكون قد فاز بالمركز الأول والثانى فى هذه المسابقة .

ومن ألوان المعاناة التى ألمت به ، تجاهله وعدم دعوته لاستلام جائزة معجم البابطين من الكويت باعتباره فائزاً بإحدى جوائزها ، فقد أهملت مؤسسة البابطين بالقاهرة دعوته ووجهت الدعوة لكل من فازوا وسافروا للكويت لاستلام جوائزهم ما عدا شاعرنا ، ولو تحققت له هذه الفرصة لكانت المرة الأولى فى حياته التى يسافر فيها خارج مصر ، فيكتب لصاحب الجائزة عبدالعزيز سعود البابطين معيراً عما أصابه وقلبه مفعم بالحسرة والمرارة (١) :

كتبت إليك من زمن كتابـــى ... وقلت عساك تدرك بعض ما بى
وعشت مؤملا ..واليـأس ليـل ... يسد على المؤمـل كـل بـاب
ولم أعجب ، فذلك شأن حظـى ... إذا أبحـرت أبحـر للعـذاب
أكاد على السحاب أحط رجلـى ... فإذا بى أستقر علـى السـراب
وألجـا للغيـوم لعـل فيضـا ... يفيض فتسـتظل بـه رحـابى
ولكنى ..ومـلء يـدى يقينـى ... أعود من الغدير بلا شـراب

ويهاجم شاعرنا هجوماً عنيفاً على صفحات جريدة الجمهورية ، فيكتب السيد إمام مقالاً بعنوان " عن الحركة الأدبية المعاصرة فى البحيرة " بلغ فى هجومه حد التجريح الشخص ، متجاوزاً مناقشة شعره وتقويمه والحكم عليه إلى الطعن فى كرامته وشخصه ، فتتضاعف معاناته ويزداد ألمه .

وفى هذا المقال يقسم السيد إمام الشعراء إلى فريقين : فريق ينتمى إلى دائرة الإبداع والتجديد ويقصره على صلاح اللقانى وحده دون منازع .

أما الفريق الثانى : وهو فريق التلفيق فى نظره ويضم يس الفيل وحده ، فيكيل له الاتهامات ويجمع له العيوب حتى يتمكن من إقصائه من دائرة الإبداع وينسبه لدائرة التلفيق كما يقول " ولدائرة التلفيق ينتمى بجدارة الشاعر يس الفيل ، فلا أصبح بالشاعر الحداثى ولاهو ينتمى إلى تقاليد الشعر الموروثة القديمة كما عرفها المتنبى وامرؤ القيس وأبو نواس وأبوالعلاء ، النظرة الفاحصة تنبئ أنه شاعر هجين لا هو فى الأرض ولا هو فى السماء ، شاعر يرقص على السلم وحده ، ما أشبهه بذلك الحيوان الخرافى الضخم ... إن كنت لا تصدق فابحث معى عن مكانته بين شعراء جليه المخضرمين الشاعر مواليد ١٩٢٨ (٢) أى أنه جايل عبد الصبور وحجازى وبدر شاكر السياب الخ ، أو تعالى نبحث له عن مكان له من الجيل الذى يليه : عفيفى ، أمل ، أبو سنة ، فاروق شوشة ، أو الجيل الذى يليه (حسن طلب ، حلمى سالم ، رفعت سلام ، أبو سعده ، عبدالمنعم رمضان) لن نعثر له على مكان فى خريطة الشعر المعاصر بكل تأكيد ، هل ظلمناه ؟ المكان الوحيد الذى يمكن أن نعثر

فيه على يس الفيل هو موسوعة البابطين للشعراء المعاصرين (هل تشم فى ذلك شيئا من رائحة النفط ؟) ترى هل أجبنا على السؤال ؟ .[1]

العودة إلى القرية :

كما كانت القرية هى مفتتح حياة الشاعر ، كان الرجوع إليها بعدما أحيل للتقاعد عام ١٩٨٨م ، إذ كان لابد أن يعود إلى مهد الطفولة ، ومراتع الصبا حيث الأهل والأخوان والأصحاب ، ولكن القرية التى عاد إليها ، تختلف كل الاختلاف عن القرية التى قضى فيها صدر حياته ، والتى كانت تنعدم فيها كل مصادر الترفيه والتثقيف إلا من أقل القليل ، أما القرية التى يعيش فيها الآن فقد تحولت إلى شىء آخر ، لا تمت إلى التى غادرها منذ ذلك الزمان البعيد بسبب ولا تنتمى لها بنسب إلا نسب الأصالة حيث استفادت من معظم وسائل الحضارة العصرية .

عاد إلى "دست الأشراف " بعد أن قام فى دمنهور ثلث قرن أو يزيد دون أن تستهويه أضواء العاصمة وعاش فى المدينة ريفياً " فى مشاعره ولغته ومشيته وصدق طويته وطيبته ونقائه. (٢)

وإذا كان يس الفيل عانى من قيود العمل الوظيفى الذى يستدعى الحضور يوميا من الثامنة صباحا إلى الثانية ظهرا ، فها هو اليوم بين أهل قريته يعيش مع أهله وناسه هذا المجتمع الذى يأنس إليه .

١- جريدة الجمهورية بتاريخ ١٩٩٣/٩/٣م .

٢ - د. عبدالله سرور الميلاد وحكايات الخريف ، ص ١٤ .

ويقضى وقت فراغه موزعا بين القراءة والكتابة وحضور الندوات التى كثيرا ما يدعى إليها ، والأمور الحياتية الأخرى التى لابد منها لكل إنسان ، ثم بعد ذلك لا يتوانى عن مراسلة الصحف والمجلات العربية التى تحتضن قصائده فتلقى اهتماماً وترحيباً كما تحظى بعض قصائده بالجوائز من خلال المسابقات التى تقيمها الأندية العربية . وعلى الرغم من تجاوزه سن السبعين فما زالت ذاكرته متوهجه وتجربتة متقدة ، وما زال يصدح بالشعر كتابة وإلقاء .

انتاجه الشعرى :

جمع يس الفيل شعره فى كشاكيل مدرسية ذات المائة ورقة ، وجعل لكل منها عنوانا وهى على التوالى :

١. الليل والناى الحزين .
٢. من خارج أسوار الليل .
٣. أغنية بلا وطن .
٤. أنغام لم تعزف أبدا.
٥. حصاد الأمل .
٦. الميلاد وحكايات الخريف .
٧. أغاريدى .
٨. صمود الجراح.
٩. الزحف على حد المستحيل .
١٠. قصائد جريحة .
١١. الإبحار على سفن اليقين .

١٢. صخب الأقنعة .

١٣. الأمل مطر الفصول الأربعة .

١٤. على صدأ الذكريات .

١٥. همسات الصدى .

١٦. أحزان على شفة الكمان .

وهذه المجموعات مخطوطة لدى الشاعر، كتبها جميعها بخط يده ، وما زال يكتب شعراً حتى كتابة هذه الرسالة .

ولـ "يس الفيل "ثلاثة دواوين مطبوعة وهى بحسب صدورها كالتالى :

١- الميلاد وحكايات الخريف ، سلسلة إشراقات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م ،عدد ٤٦ ، وهذا الديوان مذيل بدراسة للدكتور محمد حسن عبدالله .

٢- توقيعات حادة على الناى القديم ، كتاب المواهب ، المركز القومى للآدب يونية ١٩٩٠ عدد ٥٨.

٣- أغنية بلا وطن سلسلة أصوات أدبية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة أكتوبر ١٩٩٣ عدد ٤٧.

وقد أصدرت الهيئة العامة لقصور الثقافة كتابا يحمل عنوان "من فرسان الشعر بإقليم غرب الدلتا الثقافى "ضم ثلاثة من الشعراء هم "عبدالعليم القبانى ويس الفيل ، وإسماعيل عقاب " وكان صدور هذا الكتاب بمناسبة فوز هؤلاء الشعراء بجائزة الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين ، حيث فاز عبدالعليم القبانى بجائزة الإعلام بديوانه (بقايا سراب) ، وفاز يس الفيل بجائزة أحسن قصيدة على

مستوى الوطن العربى [1] . وفاز إسماعيل عقاب بجائزة أحسن ديوان للشباب ويحتوى هذا الكتاب على مجموعة قصائد لكل شاعر مع دراسة نقدية للدكتور محمد مصطفى هدارة .

واختار يس الفيل قصائد دواوينه الثلاثة المطبوعة وانتقاها من مجموع شعره مما جعل الفترة الزمانية فى كل ديوان ممتدة ، وقد أدى هذا إلى اختلاف القصائد فى الديوان الواحد من حيث المستوى الفنى ، ففى ديوانه "الميلاد وحكايات الخريف " نجد قصيدة "المدينة والطائر الحزين " يرجع تاريخ كتابتها إلى عام ١٩٦٧ ، بينما كتبت قصيدة "ثورة " عام ١٩٨٦ أى ما يقرب من عشرين عاماً .

ويضم ديوان "الميلاد وحكايات الخريف " قصائد من الشكلين التقليدى والحر بينما جاءت قصائد ديوانى "توقيعات حادة على الناى القديم "و"أغنية بلا وطن " من الشعر الحر فقط ، واختار يس الفيل قصائد ديوانيه الآخرين من الشعر الحر فقط مما يثير سؤالاً :لماذا لم يقدم يس الفيل ديواناً كاملاً من الشعر التقليدى مع أن له قصائد كثيرة جيدة من هذا النوع؟

فى رأيى الخاص أن شاعرنا جمع شعره الحر وقدمه فى ديوان حتى يتمكن من نشر انتاجه بعد أن مكث مدة طويلة لم يستطيع نشر شعره فى ديوان ، وقد يكون عمد إلى ذلك مسايرة للموجة السائدة ليرضى توجهات القائمين على النشر ويبدو أن على المبدع فى هذا الزمان أن يجيد فن العلاقات العامة إذا أراد أن يكون.

---

١ - قصيدة "هذا مقامك يا وطن " وهى منشورة فى ديوانه الثالث "أغنية بلا وطن ، ص ٧.

وقد أعد شاعرنا مجموعة دواوين للطبع ، أودعها لدى الهيئات والمؤسسات ولكنها لم تخرج للوجود ولم تر النور بعد وما زالت حبيسة عند هذه الهيئات وهى :

١- الزحف على حد المستحيل ، هيئة الكتاب تحت رقم ٢٢٩ بتاريخ ١٩٩٠/٧/٨.

٢- الإبحار على سفن اليقين ، الثقافة الأسكندرية بتاريخ ١٣/ ، ١٩٩.

٣- قصائد جريحة ، دار فيصل السعودية بتاريخ ١٤/١١/١٩٩٠.

٤- الأمل مطر الفصول الأربعة ، دار فيصل السعودية .

٥- صخب الأقنعة ، المجلس الأعلى للثقافة مصر ١٩٩٦م.

٦- همسات الصدى ، دار المعارف مصر ١٩٩٧م.

وانتاج يس الفيل الأدبى متنوع ، فهو يكتب القصة ، والزجل ، والنشيد والموّال والأغنية الشعبية ، والمسرحية ذات الفصل الواحد فضلا عن الشعر الذى يعد أكثر هذه الفنون تميزاً لديه .

وقد حصد العديد من الجوائز على المستويين المحلى والعربى وكانت أولى الجوائز التى حصل عليها ، جائزة المسرحية ذات الفصل الواحد من الثقافة الجماهيرية بدمنهور عام ١٩٥٨م. ثم توالت الجوائز تباعا ومن أهم الجوائز التى حصل عليها :

- جائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب عام ١٩٦٣م
- جائزة الهيئة العامة للثقافة الجماهيرية عام ١٩٧٣م.
- جائزة الهيئة العامة للثقافة الجماهيرية فى القصة عام ١٩٨٠م.
- جائزة نادى جيزان الأدبى السعودى الأولى فى الشعر عام ١٩٨٤م.

- جائزة نادى القصيم الأدبى السعودى فى الشعر أعوام ١٩٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٩٩١م.
- جائزة نادى المدينة الأدبى السعودى فى الدراسات الأدبية عام ١٩٩١م.
- جائزة عبدالعزيز سعود البابطين لأحسن قصيدة على مستوى الوطن العربى عام ١٩٩١م.
- جائزة نادى المدينة المنورة الأدبى الأولى فى الشعر عام ١٩٩٤م.
- جائزة نادى الطائف الأدبى الأولى فى الشعر عام ١٩٩٥م.

وهذا الحصد المتعدد للجوائز هو الذى دعا صحيفة الشرق القطرية لأن تقول "يأبى الفيل إلا أن يفوز بنصيب الأسد فى المسابقات الأدبية التى تقام هنا وهناك ومثل هذا الفوز يطرح عددا من التساؤلات حول هذا الشاعر الذى لا ينظر إليه فى بلده على أنه صاحب موهبة من "الحجم الثقيل" ؛ حيث لا تسلط الأضواء على شاعريته لأنه يقيم فى إحدى القرى النائية عن القاهرة أو ربما لأنه لا يجيد الجعجعة الفارغة". (١)

"ومن الطريف أن وزارة التربية والتعليم أعلنت عام ١٩٧٠م عن مسابقة تأليف أناشيد لأطفال المرحلة الأولى . وتقدم يس الفيل بانتاجه . وأخذ بفوزه ، وحين ذهب إلى مقر الوزارة فى القاهرة . فوجىء بمستشار اللغة العربية بالوزارة يسأل عن يس الفيل فى تعجب . فتقدم إليه الشاعر على استحياء فإذا بالمستشار يعانقه ويقول له فى زهو . لقد دخلت المسابقة بسبعة أناشيد وحصلت على سبع جوائز". (٢)

---

١ - صحيفة الشرق القطرية ديسمبر ١٩٩٤ .
٢ - د عدنان سرور الميلاد وحكايات الخريف ، ص ١٦ .

وقد أرسل مكتب وكيل وزارة التربية والتعليم للخدمات التربوية فى ذلك الوقت خطاباً يهنئه بالفوز جاء فيه " فإنه ليسعدنى أن أهنئكم بالفوز الذى أحرزتموه فى المسابقة التى نظمتها الوزارة لتاليف الأناشيد والأغانى التربوية ، تلك المسابقة التى تستهدف توفير نوعية رفيعة يقبل الطلاب والطالبات على ترديدها داخل المدرسة وخارجها ، وفى خلال اليوم الدراسى وفى أوقات النشاط فتنمى لديهم الحس الفنى وتعمق القيم والاتجاهات التربوية والقومية والدينية ، وإزاء هذا النجاح أشكركم وأتمنى لكم مزيدا من التوفيق فى خدمة أبنائنا وبناتنا من أجل رفعة مصر ونهضتها". (١)

وقد تكون الكتابه للصغار أكثر صعوبة من الكتابة للكبار ، لأنها تحتاج إلى فهم نفسية الطفل ، ومخاطبته بطريقة تجعله يقبل على القراءة وتحببه فيها ، كما أن الأطفال مولعون بالقص والحكاية وهذا يتطلب من الشاعر أن يعالج أغراضه على هيئة قصص وحكايات ، وهذا ليس فى مقدور كل شاعر ، ولذلك ندرت الكتابه الشعرية للأطفال .

وتجربة شاعرنا وإن كانت محدودة فى هذا المجال فهى تجربة محمودة ولنأخذ مثالا لإحدى قصائده التى يتحدث فيها عن المعلم وأهميته فى تربية النشئ (٢)

معلمـــى فـــى المدرســـه نســـــعده المنافســـــه
وفـــى مجـــال الهندســـه يـــدعو لـــى الممارســـه

معلمى فى المدرسه

---

١ - فى مقابلة مع الشاعر اطلعنى على هذا الخطاب .
٢ - على صدا الذكريات ، ص ٥٦، ٥٧ .

معلـــــــمى وقـــــــورٌ وعلمـــــــه غـــــــزير

وحينـــــــما يـــــــثور يثـــــــور لا يجـــــــور

يـــــدعو إلـــــى النظـــــام مـــــن غيـــــر مـــــا انتقـــــام

ويكـــــــره الظـــــــلام أن يقهـــــــر الأنـــــــام

معلمـــــى فـــــى المدرســـــه يـــــدفع للأمـــــام

لـــــولاه مـــــا قـــــرأت ولا كتبـــــت حرفـــــا

ولا علمـــــت نحـــــوا ولا فهمـــــت صـــــرفا

معلمـــــى أرشـــــدنى فـــــى رحلـــــة الأمـــــانى

وبالهـــــدى زودنـــــى لأتقـــــى زمـــــانى

معلمـــــى فـــــى المدرســـــه نبـــــع مـــــن الحنـــــان

بعلمـــــه أســـــير لأبلـــــغ الكـــــمال

علـــــى مـــــدى العصـــــور لتســـــعد الأجيـــــال

فمنطـــــق الإيمـــــان لابـــــد أن يســـــود

وعـــــزة الإنســـــان لابـــــد أن تعـــــود

معلمـــــى فـــــى المدرســـــه رمـــــز علـــــى الصـــــمود

ولشاعرنا مجموعة من الأناشيد تنتهج نهجاً أخلاقياً . وتتجه اتجاها تعليميا ومدرسيا . وتركز على القيم الخلقية النبيلة كى يستفيد منها الأطفال فى

محاولة لتغيير سلوكهم نحو الأفضل ، من هذه الأناشيد "حديقتى جميلة "[1] و"أنا فى مدرستى "[2] و(فى المسجد). [3]

وكنا نود من الشاعر أن يستمر فى هذا التيار ويكثر من الكتابة للأطفال نظرا لما تسهم به هذه الكتابات فى تشكيل ثقافة الطفل ، ولندرة الشعراء الذين أسهموا فى هذا المجال "فمنذ المحاولات القديمة لأحمد شوقى ومحمد الهراوى وبعض الشعراء فى مصر والدول العربية ، لم يكتب المعاصرون شعراً للأطفال إلا قليلا ، ومع الإغراق فى الضبابية والإلغاز الذى سقط فيه فريق من شعراء السبعينيات فى مصر والعالم العربى ، فإن الكتابة الشعرية للأطفال تصبح حدثاً مهما ينبغى الحفاوة به ، حتى لو كانت قيمته الشعرية متواضعة ، أملاً فى تنميته وازدهاره وتفوقه ، وبخاصة أن أدب الأطفال العربى يعانى عموماً من فقر دم حاد". [4]

عملية الإبداع الشعرى :

"كيف يكتب الشعراء ما يكتبون ؟ وما الخطوات التى تمر بها عملية تكوين القصيدة ؟ وهل يتدخل الشاعر فى سير هذه الخطوات أم أنه مجرد أداة لقوة أعلى تقول على لسانه ما ترد أن تقوله للبشر ؟

تلك هى إحدى القضايا التى شغلت النقد الأدبى منذ أقدم مراحله عند أفلاطون وأرسطو إلى آخر مراحله فى علم النفس الأدبى ، وتوزعت مباحثها بين

---

١ - أغاريدى ، ص ٣٥.
٢ - المصدر السابق ، ص ٣٦.
٣ - على صدأ الذكريات ،ص ٥٣.
٤ - د.حلمى القاعود :الورد الهالوك – شعراء السبعينيات فى مصر ، دار الأرقم الزرقازيق ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ ص ٩٤ .

ما عرف باسم "الإلهام" وما عرف باسم " الصنعة " ، وتحت هذين العنوانين تطرف أناس إلى أقصى اليمين ، فزعموا أن الشعر وحى يتلقاه الشاعر دون أن يتدخل فى تعديل ما يملى عليه ، وتطرف آخرون إلى أقصى اليسار فزعموا أن الشعر صناعة يصنعها صاحبها فى تبصر وإرادة وينميها حتى تبلغ كمالها" . (١)

ولكن الدراسات النقدية الحديثة تجاوزت طريقة القول بشياطين الشعراء وركزت على الحالة النفسية للشاعر عند الإبداع ، والمراحل التى تمر بها كتابة القصيدة حتى تخرج عملاً مكتملاً .

والقصيدة عند شاعرنا تمر بمراحل حتى تخرج للوجود ، فتأتى أولاً مرحلة احتضان الفكرة ، ثم مرحلة الإجابة لإفرازها المتواتر ، ثم بعد أن ينسكب هذا الافراز على السطور قصيدة ، تبدأ المعايشة الواعية بهذه التجربة ، ومن ثم تكون الإضافة والحذف فى محاولة لتنقية العمل من الشوائب وتخليصه من النتوءات .

وقد لا تمر القصيدة بمراحل فتأتى جيشانا عاطفيا استجابة لمؤثر ضاغط وسريع ، وقد تحتضن الخواطر التى تحرك المشاعر زمنا دون الجرأة على بعثه قبل اكتماله .

وللشعراء عادات عند كتابتهم للشعر فمن عادة شاعرنا _ كما يقول _ أنه لا يكتب إلا فى حجرة خاصة ويكون منفردا ويكثر من تدخين السجائر ، وغالباً ما يكتب الشعر ليلا وكثيرا ما يستيقظ من نومه إذا دارت فى رأسه فكرة قصيدة فيكتب بعض أبياتها أو يكتبها كاملة ومن أجل ذلك يعد للأمر عدته فيحضر

---

١ ـ د.أحمد درويش :التراث النقدى قضايا ونصوص ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة كتابات نقدية ، عدد ٧٧ اغسطس ١٩٩٨ ص ، ١٧٧.

بجانبه الأوراق والقلم ليسجل ما يطرأ له . ولطول صحبته للسيجارة وجد بينه وبينها نوعا من الألفة بلغ درجة العشق لها فيخاطبها قائلاً [1] :

أنا وأنت وهذا الليـــل والأرق ... وصحبة فى لظاها عشت أحترق

أنا وأنت عذاب آسر وهـــوى ... لا أبتغيه وعشــق فيــه أختنــق

أنـــا وأنـــت أمـــانى مجنحـــة ... على خيوط بليل الوهم تنسحــق

لسنا على الود نحيا ليس يربطنا ... إلا السراب وإلا الطين والنــزق

وليس من غاية فى ظل ألفتنـــا ... إلا هلاك بنـــا للمــوت ينطلــق

وقد تعتريه حالة الإبداع وهو مسافر، من ذلك أنه عندما دعى للندوة التى أقيمت بقصر ثقافة الغورى بالقاهرة بمناسبة مولد الحسين فى ١٩٧٤/٥/٢٠م كتب قصيدة " وهج من رحلة الحسين " فى القطار بين دمنهور والقاهرة، وقد يكون المكان هو الموحى لفكرة القصيدة عندما زار للمرة الأولى نجع حمادى وقنا والأقصر فكانت هذه الزيارة سببا فى قصيدته "أغنية إلى إيزيس " وكذلك قصيدته التى كتبها بين أسيوط وسوهاج ومطلعها: [2]

سوهاج يا فرحة المحزون...سوهاج ... إليك أسرى بى والشوق معراج

---

١ - الميلاد وحكايات الخريف ص ٧٧.

٢ - الزحف على حد المستحيل ، ص٦٠ .